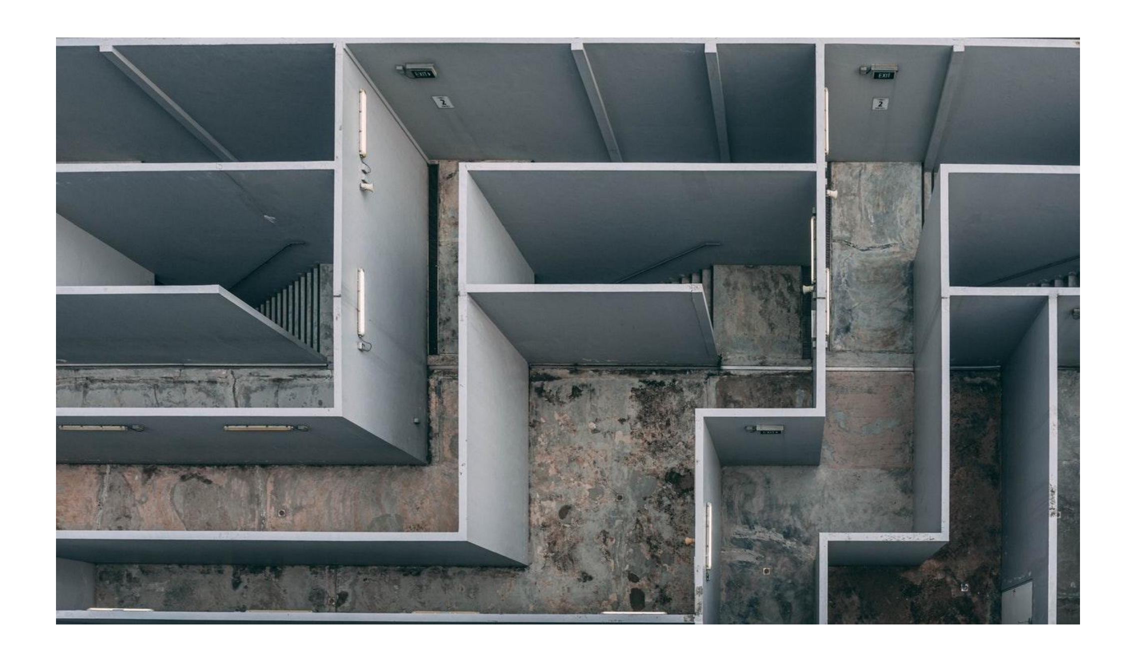
أهم صفات الكفار

كتبه غريب الديار ٣ رمضان ١٤٤٢



بعدما تعلمنا صفات المتقين في القرآن لنتّصف بها, نواصل مع القرآن لنتعلم أهم صفة من صفات الكفار, حتى نتأكد من عدم تحقق هذه الصفة فينا, راجين من ربنا سبحانه أن يجعلنا من المؤمنين الصادقين الذين يحشروا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين

وعلى بركة الله أقول مستعينا بالله:

بعد أن تحدث ربنا عز وجل عن صفات المتقين في سورة البقرة, بيّن سبحانه أهم صفة عند الكفار, وهي نقيض صفة المتقين الاهتداء بكتاب الله, وذلك في قوله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٦-٧]

فالذين كفروا لا ينتفعون بالنذارة مطلقا, الواحد منهم لو قرأ القرآن من الفاتحة إلى الناس, وقرأ كل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم, لا يتأثر, ولا يعي ما يقرأ, فهو يمر على الآيات التي تصف حاله ولكنه لا يفقهها نهائيا.

والسبب أن الله ختم على قلبه وسمعه, وجعل على بصره غشاوة كما بيّنت الآية الأخيرة.

إن الكافر يدرك تماماً أنه غير قادر على فهم الوحي, ولذلك نجده يصف نفسه بما وصفه الله به, من كون في آذانه وقر, وعلى قلبه أكنة, كما أخبر الله عن الكفار في قوله:

﴿ وَقالوا قُلوبُنا في أَكِنَّةٍ مِمّا تَدعونا إِلَيهِ وَفي آذانِنا وَقرٌ وَمِن بَينِنا وَبَينِكَ حِجابٌ فَاعمَل إِنَّنا عامِلونَ ﴾ [فصلت: ٥]

فهم يعترفون بأنهم لا يمكنهم فهم ما يدعوهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولا ينكرون ذلك.

بعد أن عرفنا هذه الصفة الأساسية من صفات الكفار علينا أن نسأل أنفسنا إن كنا نتّصف بها أم لا؟

فالهدف من هذا البحث هو التأكد من كوننا لا نتصف بأهم صفات الكفار.

مبدئيا كل واحد منا يرى, أو يرجح أنه لا يتصف بهذه الصفة, ولكن هل لسان حاله يصدقه أم يكذبه؟

الإجابة بسيطة جدا, انظر لحالك حين تقرأ القرآن والسنة, هل تفهم ما تقرأ وتجده نورا مبينا وهدى ورحمة؟

أم أنك لا تفهم شيئا, وتهرول إلى كتب المفسرين, وشراح الحديث, لعلهم يسعفونك في فك رموز ما قرأت؟

إذا كنت الأول, فأنت فعلا مؤمن, تتصف بأول صفات المؤمنين, ولا تتحقق فيك هذه الصفة من صفات الكافرين.

أما إذا كنت الثاني, فعليك أن تعرف أن هناك مشكلة كبيرة جدا, وأنك حقيقة في ورطة.

فما الذي يجعلك لا تفهم كلام الله المبين الذي يسره وفصله, وفي نفس الوقت تفهم كلام ذلك المفسر المعقد والذي أغلبه ظنون, واختلاف في معنى الآية أو الحديث؟

أنت في الواقع بتصرفك ذلك تكشف أنه فعلا بينك وبين الوحي حجاب, يجعلك لا تفهم الوحي، ومن ثم لا تنتفع به, وإلا فأخبرني في التعليقات لماذا تحتاج كتب التفسير؟

ستقول غالبا أنا أعجمي ولا أفهم العربية جيدا, وعذرك هذا سيكون وجيها إذا كانت كتب التفسير بلسانك الأعجمي، ولكن إذا كانت كتب التفسير بلسان العرب أيضا, فعذرك واه, ولا معنى له.

لأنه لا أقدر على البيان والتيسير من رب العالمين, وإلا فأخبرني مالذي جعلك تفهم كلام المفسرين, رغم ما فيه خرص وظنون, ولا تفهم كلام رب العالمين المبين الميسر؟

في الواقع الأمة تتخبط منذ قرون ظلمات الجهل, وحيل بينها وبين الوحي لما بدلت دين الإسلام بالمذاهب ورسول الله صلى الله عليه وسلم كمتبوع, بأئمة المذاهب, فصارت ترى الوحي معقدا, ظني الدلالة وظني الثبوت مصدر للاختلاف, فصارت لا تنتفع بالوحي رغم كونها تتلوه آناء الليل وأطراف النهار, فكان قوله سبحانه :

﴿ وَاتلُ عَلَيهِم نَبَأَ الَّذي آتَيناهُ آياتِنا فَانسَلَخَ مِنها فَأَتبَعَهُ الشَّيطانُ فَكانَ مِنَ الغاوينَ۝وَلَو شِئنا لَرَفَعناهُ بِها وَلٰكِنَّهُ أَخلَدَ إِلَى الأَرضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إِن تَحمِل عَلَيهِ يَلهَث أَو تَترُكهُ يَلهَث ذٰلِكَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا فَاقصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ۝ساءَ مَثَلًا القَومُ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا وَأَنفُسَهُم كانوا يَظلِمونَ۝مَن يَهدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهتَدي وَمَن يُضلِل فَأُولٰئِكَ هُمُ الخاسِرونَ۝وَلَقَد ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ كَثيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُم قُلوبٌ لا يَفقَهونَ بِها وَلَهُم أَعيُنٌ لا يُبصِرونَ بِها وَلَهُم آذانٌ لا يَسمَعونَ بِها أُولٰئِكَ كَالأَنعامِ بَل هُم أَضَلُّ أُولٰئِكَ هُمُ الغافِلونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٩]

منطبقاً عليها, فقلوبها لا تفقه الوحي, وآذانها لا تسمعه, وعيونها عمياء لا ترى آيات الله, وما هي عليه من كفر صريح ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إذا كنت الثاني وأدركت حقيقتك، وأنه فعلا حيل بينك وبين وحي الله، فالحل هو في أن تؤمن من جديد، وتبدأ مع الوحي قراءة جديدة بيّنت معالمها في مقال كيف نُشفى بالقرآن والسنة، فراجعه لزاما.

قبل أن أختم أود أن أقول إن ختم الله على قلوب الكفار، وعلى سمعهم، وأبصارهم، ابتداءً بسبب كفرهم، وما ارتكبوه، وليس ظلما من الله لهم، حاشاه، فهو سبحانه العدل، وفي المقال القادم إن شاء الله سوف أتحدث عن أهم أسباب الكفر التي وردت في القرآن واستحق أصحابها الختم على قلوبهم وسمعهم.